

مقابلة خاصة مع المؤرخ الإسرائيلي بني موريس بشأن أحداث حرب 1948*

[.....]

اغتصاب، مذابح، ترانسفير

■ بني موريس، في الشهر المقبل يُفترض أن تنشر بالإنكليزية الطبعة الجديدة من كتابك بشأن ولادة مشكلة اللاجئين. من سيفرح أقل بهذا الكتاب، الإسرائيليون أم الفلسطينيون؟

□ الكتاب المنقح سيف ذو حدين. إنه يقوم على أساس وثائق كثيرة لم تكن في تصرفي عندما كتبت الكتاب السابق، معظمها من محفوظات الجيش الإسرائيلي. وما يظهر من مادة الشهادات الجديدة هو أنه جرت مذابح إسرائيلية سنة 1948 أكثر مما ظننت في الماضي. وفوجئت أيضاً بوجود أعمال اغتصاب كثيرة. وفي نيسان/أبريل وأيار/مايو، تلقت وحدات الهاغاناه أوامر عملانية كُتب فيها بوضوح أن عليها أن تقتلع القرويين، أن تطردهم وأن تدمر القرى نفسها. وفي المقابل، يتضح وجود سلسلة من التعليمات الصادرة عن الهيئة العربية العليا وعن المراتب الوسطى الفلسطينية بإخراج الأطفال والنساء والعجائز من القرى. وعليه، فإن الكتاب يعزز التهمة الملقاة على الجانب الصهيوني من جهة، لكنه من جهة أخرى يثبت أيضاً أن جزءاً كبيراً من عملية مغادرة القرى تم بتوجيه من القيادة الفلسطينية نفسها.

■ بحسب استنتاجاتك الجديدة، ما عدد عمليات الاغتصاب التي قام بها إسرائيليون سنة 1948؟

□ نحو دزينة. في عكا، قام أربعة جنود باغتصاب شابة وقتلها هي وأبيها. وفي يافا، اغتصب أفراد من [لواء] كريات شابة واحدة، وحاولوا اغتصاب فتيات أخريات. وفي

(*) المصدر: "هآرتس"، الملحق، 2004/1/9، ص 18 - 21. وقد أجرى المقابلة آري شفيط. ونشر هنا مقتطفات منها قام بترجمتها خالد عايد.

هونين، وسط الجليل، اغتصبت شابتان وقتلتا. وهناك حادثة اغتصاب واحدة أو اثنتان في الطنطورة، وحادث اغتصاب في قولة. وفي قرية أبو شوشة، بالقرب من [مستعمرة] غيزر، كان ثمة أربع أسيرات اغتصبت إحداهن عدة مرات. وهناك حوادث أخرى. وغالباً ما كان الأمر يتعلق بأكثر من جندي، وبشابة فلسطينية أو شابتين. وفي جزء كبير من الحوادث انتهى الأمر بالقتل. ولأن المغتصبات والمغتصبين سواء بسواء لا يحبون الحديث عن هذه الحوادث، يجب الافتراض أن دزينة عمليات الاغتصاب المسجلة التي وجدتها، ليست الحكاية كلها. إذ الحديث يدور على قمة جبل الجليل فقط.

■ بحسب استنتاجاتك أيضاً، كم عدد المذابح التي قام الإسرائيليون بها سنة 1948؟

□ أربع وعشرون مذبحاً. في عدد منها، يتعلق الأمر بقتل أربعة - خمسة أشخاص؛ وفي عدد آخر، يتعلق الأمر بقتل سبعين - ثمانين - مئة. وهناك أيضاً كثير من أعمال القتل الاعتيادي. مثلاً، يرون عجوزين يمشيان في أحد الحقول فيطلقون النار عليهما. وقد يجدون امرأة ما في قرية مهجورة فيطلقون النار عليها. وهناك حوادث على غرار ما جرى في قرية الدوايمة: يدخل طابور القرية وهو يطلق النار من كل أسلحته، ويقتل كل من يتحرك.

■ الحوادث الأخطر وقعت في صلحة (70 - 80 قتيلاً)، ودير ياسين (100 - 110)،

واللد (250)، والدوايمة (مئات)، وأبو شوشة (70). في الطنطورة، لا يوجد إثباتات قاطعة على مذبح كبيرة، لكن ارتكبت فيها جرائم حرب. وحدثت في يافا مجزرة لم يُعرف عنها حتى الآن شيء. وكذلك في عرب المواسي في الشمال. نصف المذابح تقريباً كان جزءاً من عملية حيرام: الصفصاف، صلحة، الجش، عيلبون، عرب المواسي، دير الأسد، مجد الكروم، سعسع. في عملية حيرام نفسها، كان ثمة كثافة استثنائية في حوادث قتل أشخاص بطريقة منظمة قرب حائط، أو بئر.

□ ما كان يمكن لذلك أن يتم اعتباطاً؛ إنه نموذج [يتكرر]. ويبدو أن ضباطاً كثيرين ممن اشتركوا في العملية فهموا أن توجيهات الطرد التي تلقوها تسمح لهم بالقيام بهذه الأفعال لدفع السكان إلى الخروج من منازلهم. والحقيقة أن أحداً لم يعاقب بسبب أعمال القتل هذه. وقد وضع بن - غوريون حداً لتداول الموضوع، وغطى على الضباط الذين قاموا بالمذابح.

■ هل ما تقوله لي هنا، بطريقة غير مباشرة، هو أنه كان يوجد أمر طرد عام وواضح في عملية داني؟

□ أجل. أحد الأمور التي كشف الكتاب عنها هو أن قائد الجبهة الشمالية، موشيه كرمل، أصدر في 31 تشرين الأول/أكتوبر 1948 أمراً كتابياً إلى وحداته بتسريع عملية إخراج السكان العرب. وفعل كرمل ذلك فور زيارة قام بها بن - غوريون للقيادة الشمالية في الناصرة. لا شك لديّ في أن التوجيهات صدرت عن بن - غوريون، تماماً كما أن أمر طرد سكان مدينة اللد، الموقع من يتسحاق رابين، صدر فور زيارة بن - غوريون لقيادة عملية داني.

[.....]

■ هل كان بن - غوريون داعية للترانسفير؟

□ بالتأكيد، كان بن - غوريون داعية للترانسفير. فقد كان يدرك أن لا قيام لدولة يهودية بوجود أقلية عربية كبيرة داخلها [....]

■ وأنا لا أسمعك تدين ذلك.

□ بن - غوريون كان على حق. لو لم يفعل ما فعل لما قامت دولة. يجب أن يكون هذا الأمر واضحاً. لا يمكن التهرب منه. لولا اقتلاع الفلسطينيين لما قامت هنا دولة يهودية.

بفضل التطهير العرقي

■ بني موريس، خلال عشرين عاماً وأنت تدرس الجانب المظلم من الصهيونية. إنك خبير بفضائح 1948. وفي نهاية الأمر، أنت تبرر كل هذا؟ أنت تسلّم بترانسفيرال 1948؟

□ لا تبرير لأعمال الاغتصاب، ولا تبرير للمذابح. إنها جرائم حرب. لكن في أوضاع معينة، لا يكون الطرد جريمة حرب. لا أعتقد أن أعمال الطرد في سنة 1948 كانت جرائم حرب. ليس في إمكانك أن تحضّر العجة من دون أن تكسر البيض. عليك أن توسخ يديك.

■ الأمر يتعلق بقتل الآلاف من الأشخاص، وتدمير مجتمع كامل.

□ إن مجتمعاً ينقلب عليك ليقترلك يضطرك إلى تدميره. عندما يكون الخيار بين أن تدمر أو تدمر، الأفضل أن تدمر.

■ ثمة شيء في الهدوء الذي تتحدث به عن ذلك يبعث على القشعريرة.

□ إذا كنت تتوقع أن انفجر بالبكاء، فأنا آسف على تخييب أملك. لن أفعل ذلك.

■ إذاً عندما يقف قادة عملية داني ناظرين إلى صف طويل وفظيع من 50,000 مطرود من اللد يتجهون شرقاً، فأنت تقف هناك معهم؟ أنت تبرر لهم؟

□ أنا قطعاً أفهمهم. أفهم دوافعهم. ولا أعتقد أنهم شعروا بوخز ضمير، ولو كنت مكانهم لما شعرت بتأنيب ضمير. لولا هذا العمل لما كانوا انتصروا في الحرب، ولما قامت الدولة.

■ أنت لا تدينهم خلقياً.

□ لا.

■ لقد قاموا بتطهير عرقي.

□ هناك ظروف في التاريخ فيها تبرير للتطهير العرقي. أعرف أن هذا المفهوم سلبي تماماً في خطاب القرن الحادي والعشرين، لكن عندما يكون الخيار بين تطهير عرقي وقتل شعب، قتل شعبك، فإنني أفضل التطهير العرقي.

■ وهو ما كان الوضع عليه سنة 1948؟

□ هذا ما كان الوضع عليه. هذا ما كان يواجه الصهيونية. ما كانت لتقوم دولة يهودية لولا اقتلاع هؤلاء الـ 700,000 فلسطيني. لذلك كان يجب طردهم. لم يكن ثمة مناص من طرد هؤلاء السكان. كان يجب أن ننظف المؤخرة، وننظف المناطق الحدودية، وننظف محاور الحركة الرئيسية. كان يجب أن ننظف القرى التي كانوا يطلقون النيران منها على دورياتنا ومستوطناتنا.

■ إن تعبير "تنظيف" فظيع.

□ أعرف أنه لم يكن يبدو لطيفاً، لكن هذا هو التعبير الذي استعملوه في تلك الفترة. وأنا اتخذته من جميع تلك الوثائق الخاصة بسنة 1948، والتي أنا منغمس فيها.

■ أقوالك صعبة على السمع، وعصية الاستيعاب. أنت تبدو بليداً.

□ لديّ تعاطف مع الشعب الفلسطيني الذي مرّ حقاً بمأساة صعبة. لديّ تعاطف مع اللاجئين أنفسهم. لكن إذا كانت الإرادة في إقامة دولة يهودية هنا إرادة شرعية، فإنه لم يكن ثمة خيار آخر. لم يكن في الإمكان إبقاء طابور خامس كبير داخل البلد. في اللحظة التي كان اليبشوف يهاجم من الفلسطينيين، ومن ثم من الدول العربية، لم يكن هناك خيار سوى طرد السكان الفلسطينيين؛ اقتلاعهم خلال الحرب.

تذكرُ أمراً آخر: لقد حظي الشعب العربي برقعة كبيرة من الكرة الأرضية. وذلك ليس بفضل قدراته وميزاته الكبيرة، وإنما لأنه احتل وقتل وغير دين المحتلين طوال أجيال. لكن، في النهاية، هناك 22 دولة للعرب. ولم يكن للشعب اليهودي حتى دولة واحدة. وعليه، فإنني أرى أن الحاجة إلى إقامة هذه الدولة في هذا المكان تفوق الظلم الذي لحق بالفلسطينيين لدى اقتلاعهم.

■ ومن ناحية خلقية، أنت تسلّم بهذا العمل؟

□ أجل. حتى الديمقراطية الأميركية الكبيرة ما كان لها أن تتحقق لو لم تتم إبادة الهنود الحمر. ثمة حالات يكون فيها الخير العام، النهائي، مبرراً لأفعال قاسية ووحشية تتم في المسار التاريخي.

■ وفي حالتنا، هل هذا يبرر الترانسفير حقاً؟

□ هكذا تكون الأمور.

■ وأنت تعيش مع ذلك بسلام؟ مع جرائم الحرب؟ أعمال الذبح؟ الحقول التي يتصاعد منها الدخان والقرى المدمرة وقت النكبة؟

□ يجب وضع الأمور في نصابها الصحيح. يدور الحديث على جرائم حرب صغيرة. في الإجمال، عندما نأخذ جميع المذابح وجميع أعمال القتل التي جرت سنة 1948، نصل إلى نحو 800 قتيل. وهذا، قياساً بالمذابح التي نُفّذت في البوسنة، مقدار تافه. وهو لا يُذكر أيضاً قياساً بجرائم الحرب التي نفذها الروس ضد الألمان في ستالينغراد. وعندما تأخذ في الاعتبار أن حرباً أهلية دموية جرت هنا، وأننا فقدنا واحداً في المئة كاملاً من السكان، فإنك ستجد أننا تصرفنا بشكل جيد جداً.

ظروف عملية الطرد المقبلة

[.....]

■ لست متأكداً من أنني أفهم. هل تقول إن بن - غوريون أخطأ في أنه طرد عرباً أقل كثيراً؟

□ بما أنه طرد فعلاً، ربما كان عليه أن يكمل المهمة. أعرف أن هذه أقوال تصدم العرب والليبراليين والذين يتمتعون بالاستقامة السياسية. لكنني أشعر بأن هذا المكان كان سيكون أهدأ وأقل معاناة لو حُسم الأمر؛ لو قام بن - غوريون بعملية طرد كبيرة ونظف البلد بأكمله، وأعني كل أرض إسرائيل حتى نهر الأردن. سيتضح مع الأيام أن هذه كانت غلطته القاتلة. لو تمت عملية طرد كاملة وغير جزئية لكان جلب الاستقرار إلى دولة إسرائيل لأجيال.

[.....]

■ واليوم؟ هل تؤيد الترانسفير اليوم؟

□ إذا كنت تسألني هل كنت أؤيد ترانسفير وطرده العرب من الضفة الغربية وغزة، وربما حتى من الجليل والمثلث، فإنني أقول لك لا، الآن. أنا لست مستعداً لأن أكون شريكاً في مثل هذا العمل. فهو في الأوضاع الحالية غير خلقي، وغير عملي. العالم لن يسمح، العالم العربي لن يسمح؛ وهذا سيدمر المجتمع الإسرائيلي من الداخل. لكنني مستعد لأن أقول إنني يمكن أن أرى عمليات طرد، في ظروف أخرى، رؤيوية، يمكن أن تتحقق خلال خمسة - عشرة أعوام. إذا وجد سلاح نووي حولنا، أو جرى هجوم عربي شامل علينا، ونشأ وضع قتال على الجبهة، في حين يقوم العرب في المؤخرة بإطلاق النار على دوريات تذهب إلى الجبهة، فإن أعمال طرد ستكون معقولة بالمطلق. وربما تكون حتى إجبارية.

■ حتى طرد لعرب إسرائيل؟

□ عرب إسرائيل قبلت موقوتة. فانزلاقهم نحو فلسطينة كاملة حولهم إلى طليعة للعدو موجودة بيننا. إنهم طابور خامس بالكمون. ديموغرافياً أو أمنياً، قد يهددون الدولة. وهكذا، إذا وجدت إسرائيل نفسها مرة أخرى في وضع تهديد وجودي كما في سنة 1948، فقد تضطر إلى العمل كما عملت آنذاك. إذا هاجمنا المصريون (بعد ثورة إسلامية في القاهرة) وسورية، وأخذت الصواريخ الكيماوية والبيولوجية تتطاير فوق مدننا، وأخذ فلسطينيون إسرائيليون يضربوننا من الخلف في الوقت نفسه، يمكن أن أرى وضعاً ينفذ فيه الطرد. هذا يمكن أن يحدث. إذا نشأ تهديد لوجود إسرائيل سيكون

الطرد مبرراً.

المرض النفسي الفلسطيني

■ أنت لست متصلباً فقط. أنت كئيب للغاية أيضاً، لم تكن هكذا دائماً.

□ الانعطاف عندي حدث بعد سنة 2000. لم أكن متفائلاً للغاية قبل ذلك أيضاً. حقاً، كنت أقترح دائماً لحزب العمل أو ميرتس أو شيلي، بل إنني رفضت سنة 1988 أن أؤدي الخدمة العسكرية في المناطق [المحتلة] وسُجنت بسبب ذلك، لكن كان لديّ دائماً شك إزاء نيات الفلسطينيين. وأحداث [مؤتمر] كامب ديفيد وما تلاها حولت هذا الشك إلى يقين. عندما رفض الفلسطينيون عرض [إيهود] براك في تموز/يوليو 2000 وعرض كلينتون في كانون الأول/ديسمبر 2000، أدركت أنهم غير مستعدين لقبول عرض حل الدولتين. إنهم يريدون كل شيء - اللد وعكا ويافا.

■ إذاً، كان مسار أوصلو بأكمله مغلوطاً فيه، وكان ثمة فشل أساسي في مجموع النظرة الشاملة لحركة السلام الإسرائيلية.

□ كان يجب تجريب أوصلو. لكن يجب أن يكون واضحاً اليوم أن أوصلو - من زاوية فلسطينية - كان خداعاً. عرفات لم يتغير نحو الأسوأ، لقد خدعنا ببساطة. لم يكن قط صادقاً في استعداده للحل الوسط والمصالحة.

■ عرفات يريد أن يرمينا في البحر؟

□ إنه يريد أن يعيدنا إلى أوروبا، إلى البحر الذي جئنا منه. هو حقاً يرى فينا دولة صليبية، ويفكر في السوابق الصليبية، ويعدنا بنهاية صليبية [...]. لكن المشكلة ليست عرفات فقط. فالنخبة الوطنية الفلسطينية كلها تميل إلى رؤيتنا صليبيين، وتتحرك بموجب خطة المراحل [...].

■ إذا كان الأمر كذلك، فلن يكون لحل الدولتين فائدة. حتى إذا تم توقيع اتفاق سلام، فسينهار في فترة وجيزة.

□ أيديولوجياً أنا أؤيد حل الدولتين. إنه البديل الوحيد من طرد اليهود أو طرد الفلسطينيين أو الخراب العام. لكن في الواقع، في الجيل الحالي، مثل هذه التسوية لن يصمد. إن ما لا يقل عن 30 - 40 من مجموع الجمهور الفلسطيني، وما لا يقل عن

30 - 40 من قلب كل فلسطيني، لن يقبلوه. بعد هدنة قصيرة، سيكون ثمة إرهاب وستتجدد الحرب.

[.....]

■ أليست أقوالك ردة فعل مفرطة على ثلاثة أعوام من الإرهاب، قاسية، بل مركّزة؟

□ الانفجارات في الحافلات والمطاعم هزتني حقاً. لقد جعلتني أدرك عمق الكراهية لنا، كما جعلتني أدرك أن العداء الفلسطيني والعربي والإسلامي إزاء الوجود اليهودي هنا يوصلنا إلى شفير الخراب. أنا لا أرى في العمليات التفجيرية أعمالاً معزولة. إنها تجسد الإرادة العميقة للشعب الفلسطيني. هذا ما تريده أكثرية الشعب الفلسطيني. إنها تريد ما حدث لحافلة أن يحدث لنا جميعاً.

■ لكن مسؤولية العنف والكراهية هذه تقع على عاتقنا أيضاً - الاحتلال، الحواجز، الإغلاقات - وربما النكبة نفسها أيضاً.

□ ليس عليك أن تقول ذلك لي. لقد درستُ التاريخ الفلسطيني، وأدرك جيداً أسباب الكراهية. الفلسطينيون ينتقمون منا الآن لا بسبب إغلاق الأمم فحسب، بل بسبب النكبة أيضاً. لكن هذا التفسير لا يكفي. لقد جرى قمع الشعوب الإفريقية على أيدي الدول العظمى الأوروبية بما لا يقل عن قمعنا للفلسطينيين، ومع ذلك لا أرى إرهاباً إفريقياً في لندن وباريس وبروكسل. كما أن الألمان قتلوا منا أكثر مما قتلنا من الفلسطينيين، ومع ذلك فنحن لا نفجر الحافلات في ميونيخ ونورنبرغ. وهكذا، فإن ثمة هنا شيئاً آخر، أكثر عمقاً، يرتبط بالإسلام والثقافة العربية.

[.....]

■ أنا مُصرٌّ. إن جزءاً كبيراً من المسؤولية عن الكراهية الفلسطينية يقع علينا أيضاً. فأنت نفسك أبنتَ لنا أن الفلسطينيين عبروا كارثة تاريخية.

□ صحيح. لكن عندما نأتي لمعالجة قاتل متعاقب لا يعود من الأهمية بمكان أن نكتشف سبب تحوله إلى قاتل متعاقب. المهم إيداع القاتل السجن، أو قتله.

[.....]

■ كيف تفسر الأمر؟ ما العمل غداً صباحاً؟

□ يجب أن نحاول معالجة الفلسطينيين. ربما إقامة دولة فلسطينية تساعد في العلاج حقاً مع مرور الزمن. لكن، في هذه الأثناء، وإلى أن يتم العثور على علاج، يجب مساعدتهم على عدم النجاح في قتلنا.

■ يعني، تسيبهم ضمن جدار؟ الإغلاق عليهم؟

□ يجب أن نقيم لهم شيئاً بمثابة قفص. أعرف أن هذا القول يبدو فظيماً. إنه حقاً وحشي. لكن لا خيار. هناك وحش يعيش، ويجب سجنه بطريقة أو بأخرى.

حرب على البرابرة

■ بني موريس، هل تحولت إلى يميني؟

□ لا، لا. أنا ما زلت أعتبر نفسي يسارياً. ما زلت أؤيد، مبدئياً، دولتين لشعبين.

■ لكنك لا تعتقد أن هذا الحل ستكتب له الحياة. أنت لا تؤمن بالسلام.

□ في تقديري، لن يحل السلام. لا.

■ إذاً، ما الحل الذي تقترحه؟

□ يبدو أن لا حل خلال هذا الجيل. الوقوف بالمرصاد، الدفاع عن الدولة ما أمكن.

■ حائط حديدي؟

□ نعم. الحائط الحديدي تشبيه جيد. الحائط الحديدي هو أفضل سياسة للجيل المقبل. هو ما اقترحه [فلاديمير] جابوتنسكي وتبناه بن - غوريون. في الخمسينات، جرى جدل بين بن - غوريون و[موشيه] شاريت. لقد ادعى بن - غوريون أن العرب لا يفهمون سوى [لغة] القوة، والقوة وحدها ستقنعهم بوجودنا هنا. وقد كان على حق. هذا لا يعني أن لا حاجة إلى الدبلوماسية. فسواء إزاء الغرب، أو إزاء ضميرنا، من المهم أن نطمح إلى حل سياسي. لكن، في نهاية المطاف، الأمر الذي سيفرض استعدادهم لقبولنا هو القوة فقط. أي إدراكهم أنهم لن ينتصروا علينا.

[.....]

■ هل أنت من المحافظين الجدد؟ هل تقرأ الواقع التاريخي الراهن بحسب مفاهيم

[صموئيل] هنتنغتون؟

□ أعتقد بوجود صدام بين الحضارات. أعتقد أن الغرب يشبه اليوم الإمبراطورية الرومانية في القرون الرابع والخامس والسادس: البرابرة يهاجمونه، وقد يدمرونه أيضاً.

■ هل المسلمون برابرة؟

□ أعتقد أن القيم التي ذكرتها سابقاً هي قيم برابرة. الموقف من الديمقراطية، الحرية، الانفتاح. الموقف من حياة الإنسان. بهذا المعنى هم برابرة. العالم العربي كما هو اليوم بربري.

[.....]

■ الواقع الذي تصفه صعب للغاية. أنت غير مقتنع على الإطلاق بقدرتنا على البقاء هنا.

□ إمكان الدمار قائم.

[.....]

■ عنوان كتابك الصادر الآن بالعبرية هو "ضحايا". في حقيقة الأمر أن ما تدّعيه هو أننا نحن، في نهاية المطاف، الضحية الأكبر بين ضحيتي الصراع.

□ نعم، تماماً. نحن الضحية الأكبر في مسار التاريخ، ونحن الضحية الأكبر بالكمون أيضاً. وعلى الرغم من أننا نقمع الفلسطينيين فنحن هنا الطرف الأضعف. إننا أقلية صغيرة وسط بحر كبير من عرب كارهين يريدون إبادتنا. وعليه، عندما تتحقق رغبتهم يمكن أن يفهم الجميع ما أقوله لك الآن. لكن سيكون الأوان قد فات.

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: majallat@palestine-studies.org
يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:
<http://www.palestine-studies.org/ar/mdf>